

التَّكَامُلُ السَّكَّانِي

فِي

العَالَمِ العَرَبِيِّ



دَرَاكَةُ اِثْنُوْلُوْجِيَّةٍ
جُغْرَافِيَّةٍ



بقلم : الدكتور زيدان عبد الباقي

تمهيد

يشغل الوطن العربي قلب العالم القديم ، وهو في نفس الوقت صلة الوصل بين العالم القديم والعالم الحديث ، ويقع فيما بين المنطقة المعتدلة والمنطقة المدارية . وتمتد حوالى خمسة الاف كيلو متر من الخليج العربى والعراق شرقا الى المغرب وموريتانيا غربا . ويبلغ أقصى طوله من الجنوب الى الشمال حوالى ثلاثة الاف كيلو متر ، وهو طول مجرى نهر النيل من حدود السودان الجنوبية الى مصبه في البحر الابيض . وتقدر هذه المساحة بحوالى ١٢/٢ مليون كيلو متر مربع . وبذلك تربو مساحة الوطن العربى على مساحة القارة الاوربية .

هذا وقد بلغ عدد السكان في العالم العربى سنة ١٩٧٧ نحو ٤٥/٦٥٠/٨٨٨ نسمة . يعيش أقل من ثلثهم . أى ١٤٣/٧٦٧/١٨٨ في قارة آسيا ، ويعيش الثلثان الباقيان . أى ٩٨/١١٦/٣٠٠ في قارة افريقيا . ولذلك تعتبر افريقيا بمثابة الارض العربية الرئيسية من حيث المساحة وعدد السكان ، على حين أن اكبر دولة عربية من المساحة وعدد السكان على حين أن اكبر دولة عربية من حيث المساحة هى السودان واكبر دولة عربية من حيث السكان هى مصر .

الاصل السلالى للسكان العرب

يزعم الانثربولوجيون - استنادا الى دارون - أن اجداد البشرية ومن بينهم السكان العرب من القرود . ويرددون أن الانسان دائم المغيرات في تقدير ذاته . وان كثيرا من الاراء التى نرفضها في حياتنا اليومية ، نرفضها بدوافع من هذا النوع .

ولكننا نرى ان الانسان لم يتحدد من اى نوع من انواع القرود العليا التى سارالت بالية حتى الان . فهذه القرود ليست بالقطع اجدادنا

١ - الاستاذ الدكتور مصطفى الغشاب : دروس في مقومات المجتمع العربى ونظمه . مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٢ صفحة ٨٦ .

البعيدة ، ولعلها من أبناء عومتنا • وعلى ذلك فإن زعم الانثربولوجيين بأن اجدادنا كانوا قردة تتراقص فوق فروع الاشجار على اربع لا يستند الى اساس • وانما الكلام الذى يستند الى القدم مرجع علمي وهو القرآن الكريم يؤكد أن الانسانية تعود الى اصل واحد ، تعود الى انسان عاقل ، كان هو الجد الاول للبشرية • ومن ثم فاصل البشرية كما يقول القرآن الكريم ، رجل وامرأة خلقهما الله من نفس واحدة لقوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تسامون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا • (الاية الاولى من سورة النساء) وترتبطا على ذلك فإن البشرية كلها من سلالة آدم وحواء •

والذى يؤكد وجهة النظر هذه أنه منذ أكثر من مليون سنة لم يتحول قرد واحد الى انسان • واتصور أن ذلك لن يحدث • فیر أن الذى يذهل بالفعل هو هذه الثقة الشديدة التى يتحدث بها الانثربولوجيون من أحقاب زمنية بعيدة ، ويأتوننا بصور لادميين لهم ذيول ويسرون على اربع ، وهى كلها صور من وحى الخيال • انها ولا شك جرأة بالغة منهم ان يتكلموا بهذا اليقين من مصور حقيقة ، غاية في البعد ، بينما لا يتوافر في أيديهم القرائن والادلة التى تؤكد أراءهم • ان الامر كله لا يخلو من ان يكون مجموعة من الاستنتاجات التى قد تكون خطأ • وهذا هو الاقرب الى الواقع • وربما تكون صوابا ، وهذا مانستجده • ان الانسان لم يكن قد اكتشف الكتابة ، ومن ثم فكل هذه التفصيلات الدقيقة من حياة الانسان القرد لاتعدو أن تكون مجرد أوهام

حقيقة ان اجدادنا الاوائل عاشوا بين الاشجار • واذا كان اسلاف القردة العليا يعيشون حتى الان بين الاشجار ••• فقد اخذ اسلافنا من الجنس البشرى يعيشون فوق الارض • ومن المرجح أنه لم تكن صورتهم على نفس الصورة الحالية • ويمكن • بحكم الجواز أن بعض الاجداد من البشر كانوا يسرون على اربع • وقد يكون لبعضهم • ذيل • يختلف عن مثله لدى أبناء عومتنا من القردة العليا • بينما ظلت القردة تستخدم ذيلها في التارجح بين أغصان الاشجار ، وبذلك استمر قائما • على حد استخدام الاسلاف ذراعهم فى ذلك ، ومن ثم تلاشى الذيل • اذا والمفصلا جدا • بأنه كان موجودا ، وان كنا نفيك في ذلك • وبذلك حدثت تغيرات

حامة كانت هي الأساس للتطور الكبير الذي حدث في جسم الانسان . وبهذا أصبحت قامته أقصر من ذي قبل . وأكثر اكتنازا . وأخذت عضلات البطن تقوى حتى تحوى الأحشاء ثابتة في مكانها . أما الحوض فقد أصبح أعمق مما كان وأكثر استدارة حتى يستطيع استيعاب وحمل الأحشاء . ونتيجة لذلك لانت مفصل الكتفين بحيث أمكن تحريك الذراعين بشكل ميسور في دائرة تكاد تكون كاملة . وعندما انتصبت - بفعل ذلك كله - قامته الانسان ، لم يمد في حاجة الى أن يستخدم قدميه الاماميتين في السير . وهكذا عرفت ، الذراعان ، مهمة أخرى ، واستطالت أصابعها ، وفي كل يد اهتمت إحدى الاصابع عن الاخرى لتصبح ابهاما .

غير أن الاثريولوجيين ، عثروا على بقايا كثيرة ترجع الى لب البشرية - الانسان الاول كما يقولون في مناطق متفرقة من العالم، في نياندرتال، بالقرب من دوسلدورف في ألمانيا ، وفي بكين ، وفي جاوه . وفي وادي النيل بمنطقة كوم امبو الى الشمال من اسوان ** عثروا هنا وهناك على بقايا هياكل عظمية قديمة وجناح تبيين من دراستهم لها، أنه كان لهذا الانسان جسم مماثل جسمنا الحالي باستثناء الرأس الذي كان مماثل رؤس القردة من وجهة نظرهم . وهو ليس كذلك في الواقع ، لانه لم تكن له الانياب الكبيرة التي نراها في القردة العليا الحالية . وانما كانت أسنانه تشبه أسنانه العليا . الامر الذي يؤكد أن هؤلاء الاجداد كانوا يأكلون نفس الاطعمة التي نأكلها حاليا ، مثل اللحوم والخضروات والتشويبات ، وان كانت نيئة مما يؤكد عدم التشابه بين الانسان والقردة العليا . وبالإضافة الى ذلك فقد كان مخ الانسان الاول أكبر نسبيا من مخ القردة العليا . بصرف النظر عن تراجع جبهة الانسان الاول الى الخلف قليلا .

هذا ويحدد بعض العلماء أجناس هذه البشرية بثلاثة أجناس رئيسية

هي :

- ١ - الجنس الزنجي .
- ٢ - الجنس القوقازي ويتكون من ثلاث سلالات هي : الأرية والسامية ، والهامية .
- ٣ - الجنس المغولي .

ولقد تعارف العلماء على أن الجنس المفقول بسميزاته التشريعية المروفة ، ظهر في أقصى الشرق ، حيث لاتزال مجموعات من أحفاده تعيش حتى الآن في شرق آسيا واليابان ... أما الجنس القوقازي فقد كان يعيش في المناطق الشمالية من آسيا ، وبالدات السلالة الآرية من هذا الجنس ، تلك التي تجمعت حول بحر قزوين ، وفي السهول الممتدة جنوبها في شرق هذا البحر وغربه - وفيما يتعلق بالسلالة الآسية من هذا الجنس ، فقد كانت تعيش في مناطق جنوبي غربي آسيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب . ثم تبقى السلالة الآسية ، وكانت تعيش في الجزء الشمالى الممتد من البحر الأحمر شرقا الى المحيط الأطلسى غربا .

وثمة نظرية تقول ان الجنس الزنجى نشأ في مناطق جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وهى المناطق المطلة على المحيط الهندي ... وفي مصور غارقة في القدم طفت أمواج المحيط على هذه المنطقة ، فهب اصحابها مهاجرين ... جماعات منهم نحو الشرق ، وجماعات نحو الغرب ، وجماعات أخرى سارت شمالا مع نهر النيل حيث استقرت في منطقة الخرطوم ، وظهر بعض منها في مصر في مصور تؤرخ بحوالى القرن التاسع عشر أو العشرين قبل الميلاد .

وإذا لم يكن هناك ما يميز الإنسان الأول الذى تم العثور على جماجمه في كوم أمبو عن الإنسان الأول الذى ظهر في مناطق متفرقة من العالم ، فمتى على وجه التحديد أصبح ممكنا أن نتكلم عن جماعة بشرية عاشت في المنطقة العربية ، وأطلق عليها اسم العرب ؟ أو بالآخرى متى كنا في هذا المكان ؟ .

من المرجح أنه خلال العصر الحجري القديم لم تكن هناك جماعة بشرية تستطيع أن تطلق عليها اسم العرب . حيث لم يكن الإنسان قد عرف بعد معنى الاستقرار في مكان معين ، أو ما يسمى بمرحلة الجمع والالتقاط . حيث كانت بعض جماعات الإنسان الأول الدائمة التجول وراء الصيد، كانت تهيم على وجهها في كل مناطق الجزيرة العربية والشمال الأفريقى .

الهجاء الأول للسكان العرب :

ونتيجة للجفاف الذى ساد هذه المنطقة في الألف السادسة قبل الميلاد،

هاجر الانسان والحيوان الى وديان الانهار ليجد الماء والعشب - وكانت تلك الهجرات من الاحداث البشرية الضخمة - بحيث يطلق على تلك الفترة (عصر الهجرات الاولى) فقد هاجرت من قلب الجزيرة العربية الفوج من البشر (جماعات سامية) غربا من الجفاف يشدهما - الى الشمال - مناطق الهلال الخصيب - ومن هذه الموجات الكثيفة عبرت جماعات بشرية سامية برزخ السويس الى افريقيا - الى وادي النيل - كما اتجهت الجماعات البشرية الحامية التي كانت تعيش في مناطق شمال افريقيا الى الاخرى الى دلتا النيل ، وهي من جنس البحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى جماعات اخرى حامية جنوبية كانت تعيش في مناطق افريقيا الوسطى وهاجرت الى الشمال يشدهما نهر النيل (١) -

هذا من رأى المستشرق الايطالى «كيتانى» وغيره من العلماء ان سكان الجزيرة العربية من اصل سام ، بل هم الساميون وحدهم ، وأن أول تواجد لهم كان في جزيرة العرب - وأنهم جنس من اصل واحد تتشابه لغاته - وأن اللغة العربية هي اقرب اللغات السامية الى الاصل الذى تنتمى اليه ، وأنهم أتوا حضارات أصلية ، وقد استنتج «كيتانى» على اساس أن مناخ الجزيرة العربية - في العصور الجيولوجية القديمة - كان رطباً مع قليل من البؤء - وأن مياه الجزيرة العربية كانت غزيرة رطباً مع قليل من البؤء - وأن مياه الجزيرة العربية كانت غزيرة ، المناخ الى الحرارة مع زيادة الجفاف اجديت الارض - وبدأ عدد السكان يتناقص نتيجة لهجرة البعض الى اطراف الجزيرة العربية وراء العشب والماء والارض الخصبة ومنذ ذلك الحين بدأت الموجات السامية من المهاجرين تغزو بالسكان اطراف الجزيرة مثل منطقة الرافدين في العراق ، وانهار منطقة الشام ، وكذلك حوض نهر النيل - حيث ازدهرت حضارات ومدنيت كانت ذات شأن عظيم -

غير انه لكثير من العلماء آراء تصل الى حد التناقض حول المهاج الاول لسكان الجزيرة العربية ، فمن قائل :

١ - دكتور زيدان عبد الباقي : اسس علم السكان - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٨ ص ٢١٢

١ - أن مهدم كان في العراق وهو ما ذهبت اليه التوراة ، وأن أقدم فئاتهم كان الأكاديون ، البابليون ، الآشوريون ، والكلدانيون ، ومن العراق توجه العرب الى الجزيرة العربية - وصار الاحباش في بلاد الحبشة .

ب - أن مهدم كان الحبشة (اثيوبيا) ومنها عبروا البحر الاحمر الى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب ، ومن الجزيرة العربية تفرق بعضهم الى منطقة الهلال الخصيب ، حيث قال بذلك «ملكريف» (١) استنادا الى رأى «برنتون» حول وجود تشابه في الملامح ، ولي الخصائص السلافية ، فضلا عن اللغوية بين الاحباش والبربر والعرب ٠٠٠ حتى أنه زعم أن جبال الاطلس هي الموطن الاصلى للساميين (٢) ، كما استخلص فريق من العلماء وجود نوع من الصلات اللغوية والعلاقات الانتولوجية التي تلاحظ على سكان تلك المنطقة ، وقرروا - بنام على ذلك - أن الموطن الاصلى للساميين هو شرق افريقيا ، وأن اختلفوا في نوعية الطرق التي سلكوها في عبورهم الى اسيا ، حيث ذهب البعض الى أن سيناء كانت المنفذ الرئيسى (٣) . وقرر البعض أن باب المندب كان الطريق المؤدى الى اليمن السعيد ، ومنه الى شبه الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب . غير أنه طبقا لاتجاهات الهجرة يستحيل على المهاجرين ترك طريق وادى النيل بخصوبة اراضيها وما يحمله النهر من ماء عذب وغرين يساعد على ازدهار الزراعة ، ويتجهون في هجرتهم الى الجزيرة العربية بصحاريها وفيافيها وقفارها - ولهذا فإن هذا الرأى من وجهة نظرنا ليست له أسانيد يقينية .

ج - أن مهدم كان في المنطقة الواقعة جنوب نهر الفرات ، ومنها انتشروا في الجزيرة العربية وفي الهلال الخصيب ووادى النيل .

د - أن مهدم كان في بادية الشام حتى بلاد نجد في شمال الجزيرة العربية ، ومنها تفرقوا في مختلف الاصقاع .

1 - Brasted . I. : The Origins of Civilisation . Reprinted by the Scientific monthly . Nov . 1919 .

2 - Brinton , A. : Cardle if Semites .

٣ - الدكتور احمد شقرى : اليمن ، ماضيها وحاضرها . صفحة ١٦

د - ان عهدهم كان جزيرة العرب، ومنها اتجهوا الى العراق وسوريا، حيث اسسوا دولا شهيرة هناك، كما اتجه البعض الى مصر عن طريق سيناء والى الحبشة والسودان وسعيد مصر عن طريق باب النديب. وقد اشار البعض الى أن ارتفاع الحضارة الفرعونية وازدهارها يرجع الى اول هجرة جماعية من القبائل التي قدمتها شبه الجزيرة العربية. وعلى شقيقة للهجرات التي انتشرت الحضارة الاشورية والبابلية ويشير بعض الاثريين الى ان بدر الجزيرة العربية قد دخلوا الى مصر عن طريق الصحراء الشرقية، ووصلوا الى النيل عن طريق الدرب الموصل بين القصير والنيل. وقد بقيت لهذا الدرب مكانة خاصة في جميع العصور على امتداد التاريخ المصري القديم. وكان هذا الدرب يشتهر باسم « طريق الآلهة » إشارة الى مجيء بعض اسلافهم وبعضهم اليهم عن هذا الطريق. ويضيف الى ذلك قوله بأنه ما من شك في أن صلة مصر بالشعوب السامية (ومنها الشعب العربي) في مصر ما قبل التاريخ، قد تركت آثارها في اللغة المصرية القديمة، سواء في مفرداتها أو في اجروميتها. (١)

والرأي الأخير يلقى اجماع غالبية العلماء والباحثين، لا سيما وأن العرب خرجوا من جزييرتهم في صدر الاسلام - بنفس الاسلوب تقريبا - في موجات متتالية الى فارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، الامر الذي يؤكد ذلك الرأي.

الاصول السلافية للسكان العرب :

يضم الاثربولوجيون سكان العالم الى ثلاث مجموعات جنسية كبرى على النحو التالي :

١ - مجموعة الاجناس القوقازية : Homo Caucasicus

وتتكون هذه المجموعة من أربعة اجناس هي :

١ - الجنس النديب - ب - الجنس الالبي

١ - للدكتور ابراهيم زقانة : الاثربولوجيا - مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ صفحات ٧١ - ٧٥

ج - جنس بحر أبيض متوسط - د - جنس الهندوس

٢ - مجموعة الاجناس المفولية : *Homo Mongolicus*

وتنقسم مجموعة الاجناس المفولية الى ثلاثة شعب هي :

أ - المفول الاصليون بشرق آسيا .

ب - مفول الملايو بجزر الهند الشرقية .

ج - الهندو الحمر بأريكا .

مجموعة الاجناس الزنجية : *Homo Aethiopicus*

وتضم مجموعة الاجناس الزنجية شعبتين رئيسيتين هما :

أ - الزنوج من افريقيا وبابوا (غانا الجديدة) وسيلانيزيا .

ب - الاقزام .

فال اى من هذه الاجناس ترجع الاصول السلالية للسكان العرب ؟

ينتمى السكان العرب فى جزء كبير منهم الى جنس البحر الابيض المتوسط الذى يمش طبقا لراى الاثنولوجيين حول البحر الابيض المتوسط لى أوروبا وآسيا وافريقيا . فقد كان يسود كل تلك الجهات الساحلية وسيطر عليها . ومن صفاته العامة الشعر المموج والبشرة التى تتراوح بين البياض والسمرة . أما الرأس ففيها الطويل والمتوسط والمرمض . والفك غير بارزة *Orthognathous* وعظام الخدين غير بارزة والانف ضيقة والمين مستقيمة والاسنان صغيرة . والقامة تتراوح بين المتوسط وفوق المتوسط (١)

على حين ان المؤرخين أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون يذهبون الى أن ، نوحا ، قد أنجب ثلاثة أولاد وهم : سام ، وحام ، وياث ، وأن ، سام ، هو أب العرب ، و ، ياث ، أب الروم ، و ، حام ، أب الحبش .

١- المرجع السابق

والزنوج . وفي اقوال اخرى ان سام اب العرب والفرس والروم وان
 يافت اب الترك والصقالية . وان حام اب القبط والسودان والبربر (٢) .
 ومعنى ذلك ان العرب ينتمون - في الغالب - الى سلالة « سام »
 غير ان صفة « العرب » كان تطلق على سكان الجزيرة العربية - والوطن
 العربي في الوقت الحالي - بالإضافة - الى الجزيرة العربية - يشمل شمال
 وشرق افريقيا . ومنطقة الهلال الخصيب والشام . وطبقا لرأى ايسن
 خلدون . فانه يمكننا القول ان الوطن العربي يشمل سلالة سام فسي
 الجزيرة العربية و سلالة « يافت » على الشاطئ الجنوبي والشرقي للبحر
 الابيض المتوسط . و سلالة « حام » في السودان والصومال وموريتانيا .

هذا وفي اواخر القرن الثامن عشر . اوضح علماء اللغات والاجناس
 البشرية وعلى راسهم العالم النمساوي (شلوزر) Schlozer ان العرب
 القدماء ينتمون الى ما يعرف بالجنس السامي Semetic race واستندوا
 في ذلك الى ما لوحظ من أوجه الشبه بين اللغات البابلية والاشورية
 والفينيقية والكتمانية والآرامية والعربية والعيشية والقبطية . ولغات
 اخرى سادت في منطقة الشرق الادنى في المصور القديمة . وخرجوا من
 هذا التشابه اللغوي الذي يدل في كثير من مظاهره على تشابه التفكير
 والعقلية الى ان الشعوب التي كانت تتحدث بهذه اللغات ترجع الى أصل
 واحد . واطلقوا عليه اسم « الأصل السامي » نسبة الى سام بن نوح الذي
 ورد اسمه في (سفر التكوين . الاسحاح العاشر) .

وعلى ذلك فان الأصول السلافية للسكان العرب ترجع الى مصدرين :
 ١ - العرب البائدة : وهم الذين عاشوا وبادوا قبل الاسلام . ولم
 يبق من آثارهم من شيء . سوى ما جاء في القرآن الكريم وفي الاخبار
 العربية عنهم . ومن أهم قبائل عادو ثمود وطسم وجديس الاولى .

٢ - العرب الباقية وهم لسمان :

(١) العرب العاربة : أي العرب الفلص . وهم القحطانيون من سكان
 اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية . والقحطانيون ينسبون الى قحطان بن
 عابر الذي ورد ذكره في التواتر . وهو من نسل نوح . ويقال انه كان له

٢- مقدمة ابن خلدون والجزء الاول من تاريخه .

ولد يدعى « يعرب » وان يعربا هذا هو أول من اتخذ اللغة العربية لسانا
ومن هنا أطلق بعض العلماء على القحطانيين اسم «العرب العاربة» .

(العرب المستعربة) : أى الذين تناسلوا من ذرية اسماعيل بن
ابراهيم الخليل الذى اسكنه والده مع امه بواد غير ذى زرع عند بيت
الله الحرام فى منطقة الحجاز ، ثم تزوج من قبيلة « جرهم » القحطانية
وعاش بمكة وتعلم اللغة العربية منهم ، ونقلها الى ذريته . ومن ذريته
عدنان جد العرب المستعربة ، واليه ينتهى نسب رسول الله عليه الصلاة
والسلام .

هذا وقد تكاثر المدنانيون وانتشروا فى الجزيرة العربية ، وسكنوا
مختلف أقطارها بمختلف قبائلهم وبطونهم وأغائلهم . وعلاوة على ذلك
يفرق المؤرخون بين عرب الجزيرة العربية ، فيقسمونهم الى قسمين آخرين
أيضا هما :

١ - عرب الشمال : الذين استوطنوا الحجاز ونجد وأواسط بلاد
العرب ، وهم من الأعراب ، وكانت منازلهم من الخيام المصنوعة من أوبار
الانعام . وكانوا ولا زالوا يتكلمون اللغة العربية ، وهى لغة القسran
الكريم .

٢ - عرب الجنوب : وهم الذين استوطنوا اليمن وحضرموت ، وكانت
لغتهم هى السبأية أو الحميرية ، وهى لغة عربية أيضا لاتزال بمسح
نصوصها بالية بالخط المسند ، وكانت هذه اللغة تختلف من حيث القواعد
والبناء مع اللغات العربية الأخرى السائدة فى الشمال . وكانت كلتا هاتين
فى نفس الوقت تصارع الأخرى ، من أجل الحصول على زعامة الحركة
الفكرية فى شبه الجزيرة العربية ، من خلال الإحياء القومية المشتركة ،
التي كانت تقام فى شكل « أسواق » يشترك فيها القحطانيون والمدنانيون .

وفى النهاية انتصرت اللغة العربية الشمالية ، نتيجة انهيار سد
مازب فى اليمن وانتقال زمام التجارة الى الشمال ، وهجرة غالبية سكان
الجنوب الى الشمال أيضا . (١) .

١ - دكتور زيدان عبد الباقي : القومية العربية والمجتمع العربى .
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ صفحة ١٩٣ .

ويلاحظ أن هذا التقسيم للسكان لا يختلف عن التقسيم السابق لسكان الجزيرة العربية ، من حيث كونهم عدنانيين وقحطانيين .

هذا وكان لعرب الجزيرة علاقات تجارية مع المصريين لعاجتهم الى البخور واللبان وغيرها من منتجات الجزيرة العربية ، مما يستخدم في تعطير المعابد وفي تحنيط الموتى وذلك قبل الاسلام . وكذلك كانت الاقطار الافريقية ، كما كانت لهم حروب مع الاشوريين الذين رغبوا في اخضاع العرب لسيطرتهم .

ويبدو أن سكان الجزيرة العربية قد تكاثروا بشكل ملحوظ ، أو أن الجفاف الذي ساد هناك جعل بعض العرب يهاجرون الى مناطق الجنوب والغرب والشرق والشمال . ومن أشهر هذه الهجرات خمس موجات هي :

(أ) الموجة الأولى من المهاجرين العرب :

حيث كانت هجرة البابليين الى الميسرات سنة ٣٥٠٠ ق.م . ، واستيطانهم لمنطقة حوض الفرات . وقد هاجر بعضها في عهد الاسرات الفرعونية الست الأولى الى وادي النيل ، واختلطوا بالسكان الاصليين الذين كانوا يتشكلون من جنس البحر الابيض المتوسط ومن الجنس الافريقي ، وامتزجوا شيئاً فشيئاً . وبالتالي لا بد وانهم انجباو سلالة مهيمنة ، تلك التي قادت موكب الحضارة في مصر الاسرات الست الأولى .

وهذه الهجرات القادمة من شبه الجزيرة العربية ، حيث تكاد تجمع الكتابات العربية ، على أن مرجع تلك الهجرات وانتشارها شمالاً في بلاد الشام وفلسطين ، ومنها هاجر البعض الى وادي النيل .

(ب) الموجة الثانية من المهاجرين العرب :

وكانت سنة ٢٥٠٠ ق.م وكانت تتألف من الفينيقيين والكنعانيين الذين استقروا في بلاد الشام وفلسطين ومنها هاجر البعض الى وادي

النيل .

(ج) الموجة الثالثة من المهاجرين العرب :

وكانت سنة ١٥٠٠ ق.م. ، حيث وقعت هجرة العبرانيين من أرض
الفرات الى أرض كنعان في فلسطين وهم من سلالة الموجة الاولى مسن
المهاجرين .

(د) الموجة الرابعة من المهاجرين :

وكانت سنة ٥٠٠ ق.م. وكانت تتألف من الانباط الذين أسسوا
دولة لهم في الشام .

(هـ) الموجة الخامسة من المهاجرين العرب :

وهي امتثلها جميعا ، وكانت في أوائل القرن الاول الهجرى . أى
في أوائل القرن السابع الميلادى ، حيث خرج العرب حاملين لواء الاسلام
ورسلته الى آسيا وافريقيا وأوروبا .

والقبائل التي هاجرت من اليمن الى مصر هي قبائل « قضاة
الحميرية » وبعض بطوننا نزلت سينا وسارت الى الفرما ، الى الشرق من
الحدود المصرية الاسيوية ، وهى بطون : تنوح ، سليم ، بل (١) . ومن
القبائل الكهلانية أيضا قبائل ق طيء ، بنو مرة . . . والبطون التسي
تفرعت عن طيء وهى : جزام ، لغم . . . وكانت منازل جزام ولغم حول
المقبة . ومن قبائل كهلان ، بطون آل ربيعة وشبى والشمالية وبنو
صخر .

ويقال أن كثيرا من أفراد قبائل طلحة ، جعفر ، جهينة ، لغم ، جذام
شيبان ، طيء ، وغزوم وغيرهم نزلوا الى مصر وامتزجوا بمن فيها من
السكان وتسربت دماء المصريين اليهم واختلطوا بمتنصرهم ، ولا سيما وأن
مصر منذ بداية التاريخ تتلقى امواجا من الهجرات الغربية وغيرها اليها .
وقد بينا في مكان آخر (٢) المواطن التي يقيم فيها احفاد هذه القبائل

١- ابن خلدون : ديوان العبر . . الجزء الثانى ، طبعة بولاق ، صفحات
٢٤٧ - ٢٤٨ .

٢- المقرئى : البيان والاعراب عما نزل بأرض مصر من الاعراب . دار
المعارف بمصر القاهرة ١٩١٦ صفحة ٢٠ - ٢١ .

في مصر ، بحيث لم تعد هناك فروق جنسية واضحة بين مصري ومصري -

وان كان بعض أفراد هذه القبائل تزحوا خارج حدود مصر أثناء سيطرة المماليك على الحكم في مصر ، ورفضهم تسيد هؤلاء المماليك عليهم ، وقد عاد بعضهم الى مواطنهم الأصلية ، وبعضهم هاجر الى مناطق أخرى من الوطن العربي الكبير . ومن بقي منهم ، تدرجوا في تكوينهم للبيئة الاجتماعية حتى استوعبتهم من جانب وتمثلوها هم من جانب أخر بحيث لم تعد توجد فروق اجتماعية أو سلافية بينهم وبين المصريين الأصليين نهائيا ، مثل غيرهم من الاجناس المختلفة التي دأبت في الشعب المصري .

والخلاصة أن العرب هم آخر من بقي من الساميين ، بل خير مثال لهم ، ولشعب العربية هي أوسع اللغات السامية وأرقاها . (٣) - وهي خير دليل يستدل به على أصالة العرب السامية .

ويحدد الجغرافيون طرق ومنازل الهجرة التي سلكتها القبائل العربية الى مختلف اجزاء الوطن العربي في العصور التاريخية المتعاقبة ، لا سيما اذا اخذنا في الاعتبار موقع شبه الجزيرة العربية فسي جنوب غرب آسيا ، وملاصقتها للقارة الافريقية بواسطة صحراء سيناء . وقربها من الساحل الشرقي حيث مضيق باب المندب الذي لا يزيد اتساعه عن ١٦ ميلا . ومن ثم كانت الهجرات تتخذ طريقا شماليا شرقيا الى أرض العراق ، أو شمالا غربا الى أرض الشام مثل هجرات الكنعانيين والفينيقيين والقبائل الاسماعيليه وكانت هناك منافذ للهجرة العربية عن طريق سيناء متفردة مجموعة من الطرق الشمالية التي تصل بين بلاد الشام ووادي النيل ، أو تلك الطرق الوسطى التي كانت تربط بين بلاد النبط القديمة وشمال بلاد العرب ، أو تلك الطرق التي كانت تمر بها قوافل العماج الآتية من مصر وشمال أفريقيا ، سارة بالمنطقة الجبلية لمضيق العقبة الى مكة . وكذلك مجموعة الطرق الكائنة في شرق أفريقيا والتي سلكتها السلالات العربية ، وتدفقت

٣ - دكتور زيدان عبد الباقي : أسس علم السكان ، مرجع سابق ، صفحة

منها الى افريقيا عابرة طريق باب المتدب * وبعض هذه الهجرات اتجهت الى الجنوب ، حيث استقرت في بلاد الصومال وما حولها * وهاجر بعضها مرة اخرى - شمالا الى سهول اريتريا (الحبشة) واستقر البعض الاخر في الاقليم الواقع بين نهر النيل والبحر الاحمر * واتجه - كذلك - كثير من العناصر العربية نحو النيل مارين ببلاد النوبة الى ارض مصر * وهجوار هؤلاء اتجهت افواج المهاجرين الى مصر مباشرة سالكين الصحراء الشرقية من الجنوب الى الشمال * (١)

هذا ويذهب بعض علماء الانثروبولوجيا الى تأكيد وجود سمات بدنية متشابهة بين المصريين القدماء وبين قبائل (البجة) التي تنتمي الى القبائل العربية القديمة * ويستندون في ذلك الى استمالة الفراعنة بالبجة في شئونهم الحربية ، حيث حاولت هذه القبائل «بيبي الاول» على اخضاع ثورة القبائل الكنعانية وكذلك على الهكسوس من مصر - ومن ثم كان امتزاج هناك بين الشعب المصري وبين هذه القبائل ذات الاصل العربي -

واتجه مؤثر الهجرة العربية الى منطقة جنوب وادي النيل ، فقد هاجرت افواج عديدة من اليمن الى بلاد اعالى النيل الازرق والمطيرة وبلاد اريتريا وسواحل السودان الشرقية ، الامر الذي كان له اثره الواضح في التكوين الانثولوجي لسكان هذه المناطق التي تقع على الضفة المقابلة لمنطقة اليمن على جانبي البحر الاحمر والتي تعرف حاليا بالقرن الافريقي.

على ان موجات المهاجرين الى افريقيا كانت في الغالب تسلك برزخ السويس ، ثم تتجه جنوبا الى السودان وشمالا الى مصر ، الامر الذي يؤكد الروابط الانثولوجية بين سكان مصر والسودان من حيث الخصائص البدنية - واضحة لكل ذي عينين - ولا شك - بين ابناء صعيد مصر وشمال

١ - الاستاذ ناجي معروف : اصالة الحضارة العربية * الطبعة الثانية ، مطبعة التضامن * بغداد ١٩٦٩ صفحات ٧٢ - ٧٥ .

السودان . سواء في ذلك ماحدث في مصر الفرعوني القديم ، أو في مصر
الروماني ، أو في العهد الاسلامي . ومن هذه الهجرات اتجه بعضها الى
شمال غرب افريقيا . مارا بليبيا وتونس والجزائر الى المغرب وموريتانيا
ومن هؤلاء من غير مضيق جبل طارق الى الاندلس واسبانيا .

والخلاصة ان سكان الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية
في الوقت الحالي ينتمون اذا اخذنا بوجه نظر علماء الاجناس والانثروبوجين
والتاريخ ، واذا اخذنا قبل ذلك بما جاء في الكتب المقدسة - ينتمون
الى جنس البحر الابيض المتوسط بصفة رئيسية . وهم الذين استوطنوا
شواطئ البحر الابيض المتوسط في اسيا وافريقيا ، وانتشروا في الجزيرة
العربية والشام ومصر وشمال افريقيا . . . ثم الى الجنس الزنبي الذي
عاش في غرب ووسط وشرق افريقيا والى جنس الهندوس . اى انهم مزيج
من مجموعة الاجناس القوقازية (بحر ابيض وهندوس) بصفة رئيسية .
ومن مجموعة الاجناس الزنبية (زنوج افريقيا) بصفة ثانوية . ومن ناحية
اخرى فان كل الدراسات الانثولوجية لهذه المنطقة تدل دلالة واضحة على
وجود صلات وتفاعلات انثولوجية وثقافية من اسيا وشبه الجزيرة العربية
وداوى النيل وشمال افريقيا ، على نحو ما تعنى به المؤلفات المتخصصة
في دراسة نشأت وتاريخ الحضارات لتلك المنطقة . وتتضمن ايات الآثار
القديمة أو الأركيولوجية Archeology في أن سكان دواى النيل وشمال
افريقيا وجنوب وشرق البحر الابيض المتوسط ، وجنوب غربى اسيا قد
استزوجوا منذ القدم المصور استزاجا يكاد يكون منهم وحدة انثولوجية
اصيلة .

وبالإضافة الى ذلك فقد تعرضت هذه المنطقة لما تعرضت له مصر من
هجرات سكانية وفدت اليها . مع كل أنواع اللزود التي لا نهاية لها، والتي
تعرضت له المنطقة العربية منذ عشرات القرون . وعلى اتساع مساحة
المنطقة العربية التي تمتد من المحيط الاطلسى غربا ، الى الخليج العربى
(الفارسى) شرقا الى جبال طوروس والبحر المتوسط شمالا ، الى الصحراء
الافريقية الكبرى وجبال القمر والمحيط الهندى جنوبا . وما يلاحظ
أن هؤلاء المهاجرين قد انتحلوا في السكان واستزوجوا بهم عن طريق
المصاهرة . واصبحوا بحكم الميلاد غربا لهم نفس جنسية العرب ، وان
كانت النماء التي تجري في عروقهم ليست عربية بالكامل .

الهجرات من - والى - الوطن العربي :

هذا وهناك بعض الهجرات من - والى - الوطن العربي ، قديما وحديثا وسوف نشير الى أهمها فيما يلي :

اولا : هجرة الى الوطن العربي :

(أ) وتتمثل في هجرة ابراهيم وبنيه الى فلسطين * وهو ابراهيم بن ازر من مواليد بلدة «آرام» فيما بين الرافدين بمملكة بابل ، وذلك بنص التوراة (المهد القديم) وهو كتاب اليهود المقدس الذي كتبه الاحبار، بعد وفاة موسى بسنين طويلة * وقد هبط بعضهم ارض (حاشان) وهي المنطقة المثلثة بين مدن الزقازيق ، والتل الكبير ، ولبليس في محافظة

الشرقية بأرض مصر أثناء غارة الهكسوس على مصر خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد * .

وعندما اجدت ارض كنعان (فلسطين) وارتحل يعقوب وابناؤه الاسباط وأولادهم الى مصر وعاشوا هناك ٢٣٠ سنة ثم طردهم فرعون مصر ، تسرب بعضهم بقيادة «يوشع» الى فلسطين * وعاشوا هناك الى ان تم تنصيب الملك ثاول ملكا على جزء من ارض كنعان سنة ١٠٣٠ ق م * ثم انقسمت هذه الدولة الاستعمارية الى مملكتين : احدهما «إسرائيل» في الشمال وعاصمتها «السامرة» ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها «أورشليم» ثم انهارت هاتان الدولتان سنة ٩٧٠ ق م * وتم تشتت اليهود أو المبرانيين من ارض كنعان ، على أيدي الرومان * ومن هنا فقد انتشر اليهود - أو شردوا - في سائر أنحاء المنطقة العربية ، وكذلك في مختلف دول العالم. وان كانوا انزلوا كسلالة ترفض التزاوج مع غيرها من السلالات غير السامية (١)

(ب) هجرة واستقلال اقلية كردية وأرمنية في شمال شرقي المنطقة العربية وكذلك اقلية بربرية في شمال افريقيا وجنوب السودان * وهذه الاقليات تمثل ١٢٪ من عدد السكان (٢) ، وقد احتضن العرب هذه الاقليات،

١ - دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربي * مرجع سابق صفحات ٢٨٠ - ٢٩٩ .

2 - Social Forces in the Middle East , The Minorities in the Political Processes .

وهم يعاملون معاملة المواطنين العرب سواء بسواء ، باعتبارهم هربا من الاكراد أو الارمن أو البربر أو الزنوج .

(ج) هجرة بعض سكان جنوب أوروبا الى الجزائر ، حيث تعرضت الجزائر لنوع شاذ من الاستعمار الاستيطاني بواسطة بعض سكان فرنسا منذ سنة ١٨٣٠ وقبل ذلك كانت فرنسا تحتل تونس من سنة ١٧٨١ ثم احتلت مراكش (المغرب) سنة ١٩١١ ولكنها اعتبرت تراب الجزائر امتدادا للتراب الفرنسي ، أو ما يطلق عليه تعبير «الفرنسية الجماعية» وهو أسلوب يركز على محاولة ادماج الشعوب المستعمرة في الكيان الفرنسي ، وذلك عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين ، ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ونظمتهم ومنظمتهم الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على شعوب تلك المستعمرات من أجل استيعابها سكانيا بحيث يتحولون الى سكان فرنسيين قلبا وقالباً . وقد بدأت عملية فرنسة الجزائر عندما عين المعالي اليهودي الفرنسي « أدولف كريمييه » ، في منصب Adolphe Cremieux

وزير العدل في فرنسا وأصدر قانوناً سنة ١٨٧٠ يقضى بمنح في منصب وزير العدل في فرنسا وأصدر قانوناً سنة ١٨٧٠ يقضى بمنح يهود الجزائر بدون استثناء الجنسية الفرنسية وما يتمتع بها من امتيازات لأحد لها ، تتيج لهم المساواة بالمستعمرين الفرنسيين في كل شيء . وقد عارض الرأي العام الجزائري والفرنسي هذا القانون . وثار الجزائريون ضد الوجود الفرنسي في الجزائر سنة ١٨٧١ (١) واضطرت الحكومة الفرنسية إزاء هذه الثورة ، وحفاظاً على الثروات والاستثمارات الضخمة في الجزائر ، الى إصدار قانون في السادس والعشرين من يونيو ١٨٨٩ يقضى بمنح كل سكان الجزائر الجنسية الفرنسية ، ممن ترجع جنسياتهم الأصلية الى : العربية ، ثم الفرنسية ، ثم الإيطالية ، ثم الإيطالية ، وأخيراً اتباع أتباع الجنسية اليهودية ممن لا جنسية لهم . وبذلك أصبحت الجزائر - من الناحية القانونية - جزءاً من فرنسا .

هذا وقد زاد عدد الأوروبيين في الجزائر من ١٥ ألفاً سنة ١٨٣٦ الى ١٨٠ ألفاً سنة ١٨٧٢ ، الى ٦٣٤ ألفاً سنة ١٩٠١ وخلال هذه الفترة

١ - دكتور زيدان عبد الباقي : القومية العربية ... مرجع سابق
... ص ٣٠٧ .

التي بلغ تيار الهجرة فيها أشده كان أغلب المهاجرين من اللاجئين، وخاصة من سكان مقاطعتي الألزاس واللورين في أعقاب الحرب السبعينية، وكذلك أصحاب مزارع الكروم الذين تعرضت محاصيلهم للبوار فترة طويلة لسوء الأحوال الجوية وانتشار الآفات . وقد وجد هؤلاء المهاجرون إلى الجزائر من سلطات الاحتلال هناك كل عون ونيسر ، حيث وزعت عليهم أملاك

الدوية وجانب كبير من الأوقاف الإسلامية . وكذلك أملاك المجاهدين الجزائريين . وكانت تبلغ حوالي نصف مليون هكتار . وإيضاً الأراضي المشاع التي تم تعديدها بالقانون الذي صدر في يوليو ١٨٧٣ وتبلغ ثلاثة أرباع مليون هكتار .

وذلك بالإضافة إلى الأراضي التي تم سلبها بالبطش والارهاب من أصحابها العرب . والتي تم توزيعها بواقع ٢٠٠ هكتار بالمجان على كل أسرة فرنسية مستوطنة في الجزائر ٠٠٠ الخ وقد وصل عدد المهاجرين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر إلى ١/١٠٩/٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٣ وبذلك صارت أجود الأراضي الجزائرية في حوزة الأجانب . ولم يبق مع السكان الجزائريين سوى الأراضي البور الصحارى القاحلة ، حتى أنه في أوائل الخمسينات بلغت ملكية المستوطنين الفرنسيين في الجزائر نحو ٢٨٪ (حوالي ٣ مليون هكتار) من مساحة الأراضي الزراعية (حوالي ١١ مليون هكتار) وكان عددهم لا يتجاوز ١٨٪ من مجموع السكان .

وفي مراكش بلغ عدد السكان الأجانب حوالي ٣٥٠ ألف نسمة منهم حوالي ٣١/٠٠٠ فرنسي من مجموع السكان الذين كان يبلغ عددهم ٩ مليون مغربي سنة ١٩٥١ بينما لم يزد عدد الأجانب في تونس عن حوالي ٣٠٠ ألف أجنبي من مجموع السكان الذي كان يبلغ يومئذ ٤ مليون نسمة . بمعنى أن عدد الأجانب يمثل ٧٪ من مجموع السكان . وكان نصفهم تقريباً يومئذ من الفرنسيين والنصف الآخر من الإيطاليين .

هذا وقد أدى تحرر ليبيا وتونس والجزائر ولغرب ، وحصول هذه الدول على استقلالها ، إلى رحيل الكثيرين من هؤلاء المهاجرين إلى مواطنهم الأصلية ، على حين أن المهاجرين الذين اغتصبوا قطعة غالية من الوطن

العربي ، وأنشأوا عليها لهم دولة ، وهم المهاجرون اليهود الى فلسطين في
اوائل القرن العشرين ، ولم يرحلوا بعد - كما سترى - في الفترة
التالية :

(د) الهجرة اليهودية الى فلسطين ، أو بالاحرى الهجرة الاستيطانية
الى فلسطين . وهي حركة صهيونية استعمارية ، استغلت صلة اليهود
التديمة بدولة فلسطين التي تحدثنا عنها في الفترة (أ) وهي دويلة
صغيرة أنشأتها أقلية عبرانية على أرض عربية كنعانية استمرت من سنة
١٠٣٠ ق م الى سنة ٩٧٠ ق م ثم انهارت وزالت وطرد العبرانيون
بواسطة الدولة الرومانية من الاراضي الكنعانية الى غير رجعة .

غير أنه بعد ١٨ قرنا من الزمان انمشت الحركة الصهيونية امانى
اليهود الروحية في العودة الى ارض فلسطين واحتلالها من جديد . فقد
انتهز المعامى اليهودى أدولف كيرميه قضية اختفاء الاب الفرنسكانى
«توما» من دير في دمشق وما أشيع من أن اليهود ذبحوه ليمجنوا بدمه خبز
عيد الفصح ، والفتنة التى ترتبت على تلك الاشاعة ، وتم خلالها الانتقام
من اليهود انتهز هذا المعامى تلك الفرصة ورفع قضية ضد محمد
على والى مصر يومئذ وساعده أوروبا . واضطر محمد على الى دفع تعويض
له . وحضر هذا المعامى الى مصر ومعه اللورد اليهودى الانجليزى «مونتفيورى»
والمستشرق اليهودى الفرنسى «سالمون مونك» وتسلموا التعويض فى القاهرة
. ودعبوا الى فلسطين وأسسوا هناك أول مستعمرة يهودية فى فلسطين تحت
اسم «مقوية اسرائيل» أو اسرائيل) فى جنوب شرق يافا .

ومنذ ذلك الحين بدأت الهجرات اليهودية غير المشروعة وغير المعلنه
من شرق أوروبا بتمويل من يهود غرب أوروبا بقصد استيطان فلسطين .
وإثناء وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى حصل اليهود على «وعد
بalfour» بتمكينهم من إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين . وبذلك بدأت
المؤسسات اليهودية ، تنتشر فى فلسطين الى أن أصبحت دولة داخل الدولة ،
ومن هنا بحثوا عن اعتراف قانونى بوضعهم فى فلسطين ، وجاهدوا من
اجل ذلك وساعدتهم الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى الى أن
صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٦ - ١١ - ١٩٤٧
بالتوصية بتقسيم فلسطين على أساس ٥٦٪ من اراضيها لليهود و٤٢٪

للفلسطينيين ، وجعل القدس كيانا منفصلا يخضع لنظام دولي خاص ، بالقرع
من أن عدد السكان اليهود يومئذ كان ٤٦٨ ألف يهودي والسكان الفلسطينيون
نحو ٤٠٠.٠٠٠ ر ١٤٠٠٠٠ نسمة .

هذا وقد تطور عدد المهاجرين اليهود الى أرض فلسطين - ولا يزال
طبقا للجدول التالي .



جدول رقم - ١

بتطور عند المهاجرين اليهود الى فلسطين

عدد اليهود	السنة	عدد اليهود	السنة
١/٩٣٢/٠٠٠	١٩٦١	٢٤/٠٠٠	١٨٨٣
٢/٣٤٢/٦٠٠	١٩٦٢	٨٥/٠٠٠	١٩١٤
٢/٣٨٣/٦٠٠	١٩٦٣	٤٦٧/٥٠٠	١٩٤٠
٢/٩١٩/٠٠٠	١٩٦٩	٦٤٩/٦٠٠	١٩٤٨
٣/٥٠٠/٠٠٠	١٩٧٥	١/٤٠٤/٠٠٠	١٩٥١



المرجع : جدول رقم ٢٩ ص ٢٩٣ من كتاب اسس علم السكان

وبصرف النظر من شرعية أو عدم شرعية قيام دولة اسرائيل ، وان كنا نؤكد عدم شرعيتها ، فان اليهود الذين تم تهجيرهم الى فلسطين ، لا يرجعون الى اصل سام بالمرة ، وانما هم من شرق أوروبا ، اى من اصل غير سام ، فهم من أحفاد الخزر ، وهو شعب عاش بالقرب من البحر الاسود * ودخل جملة فى الديانة اليهودية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وعلى رأسهم ملكتهم «بولان» ملك مملكة الخزر فى روسيا الشرقية الجنوبية * وهم الذين يطلق عليهم طائفة الاشكيناى الذين يتكلمون لغة «الييدش» ولو أخذنا بمنطق الصهيونية فى عودة الأحفاد الى الأرض التى اغتصبها الأجداد لخرج الأمريكيون من الولايات المتحدة الأمريكية تاركين إياها لليهود الحمر ، ولخرج الأسبان من بلادهم تاركين إياها للعرب *** الخ . الأمر الذى يتطلب ضرورة إعادة النظر فى توزيع دول العالم المعاصرة ، وهذا ضرب من المستحيل (١) * أما اليهود الذين عاشوا فى فلسطين قبل الميلاد وهاجروا الى أوروبا ، فانهم يعيشون هناك حتى الآن ، ويرفضون العودة الى فلسطين لاستقرار حياتهم هناك وامتلأها بالرغد والرفاهية ، وان كان تهجير يهود أوروبا الشرقية الى فلسطين يتم بأسوأهم * وأكدت تلك الحقيقة مقالات الصحفي الفرنسى (البير لورندر) سنة ١٩٢٩ حيث أكد أن يهود الغربية يشجعون يهود أوروبا الشرقية على الهجرة والاقامة فى فلسطين ، بينما يرفضون هم الاقامة فى فلسطين *

د - هجرة الآسيويين الى دول وامارات الخليج العربى (الفارسى)
حيث هاجر كثير من الهنود والباكستانيين والافغانيين الى دول وامارات الخليج العربى وهم يشكلون كثافة تستوجب الانتباه *

ثانيا : هجرة من الوطن العربى :

واهم موجات هذه الهجرة ، هى هجرة الشوام الى الأمريكتين والجزائر الى فرنسا وذلك على النحو التالى :

١٥ - دكتور زيدان عبد الباقي : القومية العربية *** مرجع سابق ، صفحات ٢٠٢ - ٢٢٢

١ - الهجرة السورية اللبنانية :

والتي بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكان اتجاهها الغالب في البداية الى مصر ، ثم يمتد وجهها شطر الأمريكيتين ، .. حيث كانت تتاح لهم فرصة ممارسة حرفة التجارة التي يشتهها أهم الشام . وهناك سرعان ما حققوا نجاحا كبيرا ، وكونوا ثروات ضخمة ظهرت أبنائها فسي شكل مساعدات مالية ضخمة لذويهم في الوطن الأم .

وقد أدى نجاح الافواج الاولى من المهاجرين الى ارتفاع معدل الهجرة في أوائل القرن العشرين ، حيث يهاجر سنويا حوالي ١٥٠٠ مهاجر عربي* ويشكل اللبنانيون ٦٦٪ منهم والسوريون ٣٤٪ وكانت غالبية المهاجرين من لبنان أو من سوريا من المسيحيين . وذلك لاتصالهم بمراكز الثقافة الغربية وانخراط معظمهم في المدارس الاجنبية ، لا سيما وأن معرفة اللغات الاجنبية من أهم العوامل المشجعة على الهجرة والسياحة الدولية .

هذا وكانت غالبية المهاجرين العرب تقصد امريكا الجنوبية وخاصة البرازيل والارجنتين . وتعتبر مدينة «برازيليا» من اكبر مراكز المهاجرين العرب في الخارج ، بالإضافة الى مدينة بوسطن ومدينة نيويورك ثم المكسيك، حيث يتركز المهاجرون العرب هناك . وقد انتخب احد العرب عضوا في مجلس الشيوخ الأمريكي (الكونجرس) ..

ومنذ أوائل النصف الثاني من القرن العشرين بدأ بعض المصريين وغالبيتهم . من المسيحيين المتعلمين على مستوى الاختصاصيين (في الطب والهندسة والزراعة ..) في الهجرة الى القارة الامريكية واستراليا بحثا عن المال والشهرة والرفاهية ، بصورة تكاد تستنزف كل الخبرات العربية الممتازة . بعد أن بدأ المسلمون ينافسونهم في هذا المجال .

٢ - هجرة العرب الافارقة الى أوروبا :

وقد ظهر هذا الاتجاه نتيجة لضيق مجالات العمل والاضطهاد السياسي وعدم الاستمتاع بالحرية . فقد هاجر كثير من المواطنين التونسيين والجزائريين والمغاربة والليبيين الى فرنسا وإيطاليا واليونان ... وقد ارتفع معدل هذه الهجرة بشكل واضح أثناء الحرب العالمية الاولى ، ثم عاد

وانخفض خلال الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ - ١٩٣٥) ثم عاد وارتفع اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها .

والى الان توجد فى فرنسا جالية جزائرية ضخمة تعمل فى الصناعة الفرنسية وتليها الجالية التونسية ثم المغربية ثم الليبية ... الخ .

وذلك هو الشكل العام لحالة السكان فى الوطن العربى ... وهم جميعا - كما قدما - يشكلون مزيجا متألفا من مجموعة الاجناس الفوقازية والزنجية صبتهم الثقافة العربية الاسلامية بصيغة موحدة ، بحيث أصبحوا وكانهم سلالة واحدة من جنس واحد . وذلك باستثناء احفاد شعث الخزر الذين زرعتهم الصهيونية فى ارض فلسطين ، ليصبحوا مجموعة سكانية شاذة وسط السكان العرب . ولعل العرب من احفاد صلاح الدين يعملون كما عمل جدهم على طردهم ، كما طرد الصليبيين من قبل .

اجمالي سكان العالم العربى :

والمقصود بالعالم العربى هنا ، الدول الاعضاء فى الجامعة العربية ، بما فيها الامارات العربية والسلطنات وفلسطين .

هذا وطبقا لآخر احصاء سنة ١٩٧٥ - ومع كل التحفظات المترتبة على عدم دقة الاحصاءات فى بعض الدول العربية - فان سكان العالم العربى سنة ١٩٧٥ بلغ عددهم ١٤٤ر٣١٨ر٠٠٠ نسمة وتوزعهم على الدول العربية كما يلى :

جدول رقم - ٢ -

يعدد سكان العالم العربى طبقا لتقديرات ١٩٧٥

١٦ بالنسبة لبيانات السكان سنة ١٩٧٣ فهى من الكتاب الاحصائى السنوى للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٥٢ - ١٩٧٣ القاهرة اكتوبر ١٩٧٤ صفحات ٢٧٥ - ٢٧٧ وبالنسبة لبقية الجدول فهى من جريدة الاهرام (خريطة العالم العربى) فى ١٩ - ٦ - ١٩٧٦ .

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد السكان في العالم العربي طبقاً لتقديرات سنة ١٩٧٥ حوالى ١٤٤ر٣١٨ر٠٠٠ نسمة منهم ٩٨ر١١٦ر٠٠٠ نسمة في أفريقيا و ٤٦ر٢٠٢ر٠٠٠ نسمة في آسيا .

ومن هذه الأرقام يتضح أن أكثر من ثلثي السكان في العالم العربي يعيشون في الدول العربية من القارة الأفريقية . وأن أقل من ثلث سكان العالم العربي يقيمون في الدول العربية الكائنة في القارة الآسيوية .

المسلمون والدراسة العلمية للسكان :

لا تزال الدراسات العلمية للسكان في العالم العربي تحبو عن ركبتيها ولا يرجع ذلك إلى عدم وجود المتخصصين في علم السكان . وإنما يرجع إلى عدم وجود المادة الخام السكانية . والتي يستطيع المتخصصون من علم السكان استخراج مؤشرات سكانية تكون لها قيمتها وأهميتها في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي . ذلك أنه إذا استثنينا دولة أو اثنتين من الدول العربية تعمل على أن تكون إحصاءاتها السكانية ذات مستوى علمي . فإن الدول العربية لا تبذل جهداً يستحق الذكر من أجل الوقوف على التركيب السكاني لديها .

هذا ومن أهم الجوانب التي يهتم بها علم السكان ، والتي تؤكد وجهة النظر هذه ما يلي :

أولاً : تركيب السكان من حيث النوع : Sex Camposition

ويقصد بذلك توزيع السكان بين ذكور وإناث . والوضع الطبيعي أن يكون عدد الذكور متوازناً مع عدد الإناث . غير أن بعض العوامل قد تؤثر على هذا التوازن . فيزيد عدد الذكور في مكان ما ، وبالتالي يزيد عدد الإناث في مكان آخر نتيجة للهجرات الداخلية وغيرها من العوامل .

ونرجع أهمية الوقوف على أعداد الذكور والإناث في ثلثات لا يزيد عن خمس سنوات - مثلاً - بالنسبة للباحثين والمخططين إلى :

- إذا كانت نسبة الذكور أعلى من الإناث لا سيما بين الفئات المتناسبة من الشباب ، في مجتمعات - مثل المجتمع العربي - تأخذ بتمدد الزوجات ، ويخضع الطلاق فيه الحرية الفردية غير الملتزمة - في بعض الأحيان - بالدين . فقد يؤدي ذلك الى عدم توافر القرص المناسبة للزواج أمام الراغبين فيه . ومن ثم ينتشر سوء التوافق بين الأزواج . غير أنه لزيادة الذكور في المجتمعات المحلية الريفية فائدة أخرى وهي توافر القوى العاملة للأعمال الزراعية .

- إذا كانت نسبة الإناث أعلى من نسبة الذكور كما حدث في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بين فتيات ألمانيا وإيطاليا بالنسبة لجنود الحلفاء ، فإن ذلك قد يفرض (العزوبية) على بعض الفتيات ، الأمر الذي قد يدفع البعض منهن الى الانحراف الاخلاقي .

- تتأثر كل من الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع ، نتيجة لاختلاف نسبة الأعمار . فمن المتوقع أن تكون نسبة الشباب الى بقية السكان سنة ٢٠٠٠ بنحو ٥٠٪ ومعنى ذلك توقع معدل مرتفع جدا من المواليد ، مما يؤثر على مستوى المعيشة للسكان .

ثانيا : تركيب السكان من ناحية السن : Age Composition

من المؤشرات الإحصائية الهامة للتخطيط والبحوث الاجتماعية دراسة السكان من مختلف الأعمار ، مع تحديد النسب المئوية لكل فئة من فئات السن . ولعلّ أفضل وسيلة لدراسة تركيب السكان من حيث أعمارهم وأنواعهم هي تصنيف كل من الذكور والإناث على أساس فترات زمنية طول كل منها خمس سنوات مثلا - ويطلق على الرسم البياني الذي يوضح هذا التصنيف اسم « الأهرام السكانية Population Pyramid » وفي العادة يأخذ هذا الرسم شكل الأهرام . ويكون من حيث القاعدة العريضة التي تضيق تدريجيا من قاعدته الى أعلى قمته . ويكون الأهرام السكاني في وضعه الطبيعي عند تساوي عدد الذكور مع عدد الإناث من جانب . وكذلك تساوي ماتحت الأربعين مع ما فوق الأربعين من العمر .

ثالثا : تركيب السكان من الناحية الزوجية Marital Composition

ويعنى بذلك توزيع السكان الى متزوجين وعزب ومطلقين وارامل . حيث تتفاوت نسب هذه الفئات بين مجتمع واخر . ولا ريب ان معدل المواليد على سبيل المثال يتأثر الى حد كبير بنسب المتزوجات من الفئة ١٦ الى اقل من ٣٠ سنة . بالإضافة الى العادات والاهراف والتقاليد . وقد اهتم علماء السكان بدراسة مختلف تلك النواحي لما لها من اثار على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اى مجتمع .

رابعا : تركيب السكان من ريفيين وحضرين Rural - urban Composition

ومن الظواهر الاجتماعية الاخذة فى الانتشار والاتساع تزايد نسبة السكان فى الحضر على حساب نسبة سكان الريف والبدو . وهذه الزيادة من العوامل السكانية ذات التأثير الحضرى المباشر على الحضرية Fertility لاختلاف نشاط وثقافة السكان فى كل من الريف والحضر (١) .

خامسا : مدى انتشار وسائل تنظيم الاسرة بين السكان :

وسائل تنظيم الاسرة تنتشر فى الدول المتقدمة . ونحن مع الاسلام فى عدم الاخذ بها الا من الحالات التى لا تتعارض مع الدين .

1 - Hawley , A. H. : World Urbanization . Trends and prospects Population . The Vital Revlution. Ronald Freedom, ed. 1946 , pp. 70-83 .

سائلا : توزيع السكان من حيث طبيعة مهتهم :

والاعمال والوظائف والمهن والحرف التي يعمل فيها السكان من الضروري الوقوف على اعدادها أو نسبها حتى يمكن التخطيط للتعليم والتدريب ، لكي يستطيع المجتمع الاكتفاء الذاتي مهنيا ووظيفيا .

وهناك بجوار ذلك نواح اخرى تحتاج الى الدراسة :

١ - التكوين العرقي أو السلالي للمجتمعات مثل المجتمع السوداني الذي يتكون من المسلمين وغير المتدينين ، والمجتمع العراقي الذي يتكون من العرب والاكراذ ... الخ .

٢ - اختلاف العقائد الدينية ، ومدى حضور السكان أو عدم حضورهم للتعاليم الدينية ... الخ .

٣ - اختلاف المستوى التعليمي ، حيث يسمى المتعلم - برغم قدرته على الانفاق والتربية - الى تنظيم انجابه ، بينما غير المتعلم - برغم عدم قدرته على الانفاق أو التربية - يفرض في الانجاب .

تلك هي اهم العوامل التي تساعد المخططين على دراسة البناء السكاني لأي مجتمع من المجتمعات على توفير احتياجاته .

خاتمة :

لقد تناولنا في هذه الدراسة الموجزة النواحي الانثولوجية المتعلقة بأصول الاجناس ومهادما وتفرعها وانتسابها بالنسبة للسكان العرب ، وما يتصل بذلك من موجات الهجرات ، وربطنا بينها وبين النواحي الاجتماعية والانثربولوجية والثقافية والجغرافية وبررنا كل وحدة الاصل الجنسي لكل السكان العرب ، ومن ثم فهم أخوة من الناحية السلالية ، كما هم أخوة من الناحية الوثنية . وهذا التشابه هو الركيزة الاساسية للتكامل السكاني .

توصيات مقترحة

١ - أما وقد اكدت الاحصاءات والارقام - على سبيل المثال - اتساع رقعة الارض الصالحة للزراعة في السودان والجزائر والمغرب وسوريا والمراق - مع تغلغل سكاني واضح في هذه المجتمعات ، ومن ثم ترك بورا - وجود سكان لا يجدون الارض الصالحة للزراعة ليستثمروها في مجتمعات اخرى مثل مصر ، فمن الضروري ايجاد وسيلة لاهادة توزيع السكان - طبقا لنظام اسلامي - ما دام الاصل السلافي واحد بين سكان هذه المجتمعات فضلا عن وحدة الدين - وعلى أن يتم ذلك بعيدا عن المقائد السياسية المتضاربة .

٢ - ضرورة الاهتمام بالاحصاءات السكانية لان كان الوقوف على جوانب التركيب السكاني للمسلمين - والممل على ابعاد عوامل الضعف عنه - وعلى أن يتم التعداد على فترات محددة لا تزيد عن عشر سنوات .